

الفصل الخامس

التعليم في الحلقات والمجتمعات الأدبية :

obeykandi.com

امتاز نظام التعليم الاسلامي بالسهولة والمرونة فلم يتقيد بمكان معين في نشر الثقافة والتعليم فكانت تعقد الحلقات العلمية في بيوت العلماء وقصور الخلفاء يحضرها الطلاب والراغبون في العلم للصغاء وكتابة ما يستمعون من الأساتذة والعلماء ويحضرها الأطباء والفلاسفة والأدباء للانتفاع بما يستمعون من المناظرات والمناقشات الدينية والعلمية والطبية والأدبية .

وكثيرا ما كانت الأدبيات من المسلمات يعقدن المجالس الأدبية لدراسة الأدب والشعر ونقد الشعراء والموازنة بينهم ومن هؤلاء السيدة سكينه والولادة بنت الحليفة المستكفي .

وكان الرئيس ابن سينا يدرس لطلبته كتاب الشفاء وكتاب القانون في بيته ليلا ، لأنه كان مشغولا بعلاج المرضى نهارا .

وكان أبو سليمان السجستاني مريضا بالتبرص فلزم بيته وانقطع عن الناس فكان طلاب العلم يذهبون اليه للاستفادة منه وكان بيته مجتمعا لأهل العلم وقصده الرؤساء والأجلاء وسادة العلماء للاستذكار والمناظرة في موضوعات مختلفة والمناقشة في آراء الفلاسفة القدماء وشرحها والتعليق عليها وكانت له الكلمة الأخيرة والقول الفصل .

وقد اعتاد الطلبة والمدرسون الذهاب الى دار الامام الغزالي ليستفيدوا من علمه وخلقه ودراسة بعض الكتب معه . فقبل انتشار المدارس كانت بيوت العلماء وقصور العظماء تعد أمكنة للحلقات والمجتمعات العلمية والأدبية يؤمها الطلاب الراغبون في البحث والعلم ودراسة بعض الكتب .

وفي قصر سيف الدولة الحمداني كان المتنبي يغرد بشعره فقد انتقل تيار الأدب العربي الى شمالى سورية وجعل مدينة حلب مقرا له وهي عاصمة الدولة الحمدانية . واستطاع سيف الدولة أن يجمع حوله في مملكته الصغيرة متعددة النواحي في العبقرية وكان كرمه الفائق سببا في أن يتصل به أدباء العصر وعلماءه .

وكان الحليفة حاميا للعلم والدين وقصره مركزا ثقافيا للأدب والأدباء يلتقى فيه العلماء والشعراء . وكانت المنتديات الأدبية للخلفاء تؤثت تأثيثا جميلا ولا يدخلها الا طبقة خاصة من الأدباء والعلماء ولها

تقاليد خاصة يجب أن تراعى فالداخل فى حضرة الخليفة يجب أن يكون نظيف الملبس وقور الهيئة يجلس فى المكان المناسب له لا يضحك ولا يبصق ولا يمخط ولا يجيب عن شىء الا اذا سئل عنه ولا يرفع صوته وعليه أن يتعلم حسن الاستماع كما يتعلم حسن الكلام ويمهل المتكلم حتى يتم حديثه ويتجنب الألفاظ الوحشية ولا يكثر القهقهة .

وفى تلك المنتديات كانت الموضوعات تعرض لبحثها ونقاشها والمناظرة فيها .

وقد بنى المعتضد بالله قصره ببغداد وفيه دور ومساكن ومقصورات ليرتب فى كل موضع رؤساء لكل مذهب من مذاهب العلوم النظرية والعلمية ويجرى عليهم الأرزاق السنوية ليقصد كل من اختار علما من العلوم أو صناعة من الصناعات الرئيس الذى يختاره ليأخذ عنه العلم أو الصناعة .

وكان معاوية بن أبى سفيان يستدعى الى مجلسه فى قصره بعض العلماء والأدباء والمؤرخين ليقرءوا له تاريخ العرب ويحدثوه عن مواقعهم الشهيرة وعن تاريخ ملوك الفرس ونظم حكوماتهم وادارتهم .

وقد جلس عبد الملك بن مروان يوما وعنده جماعة من خاصته فقال: ايكم يأتينى بحروف المعجم فى بدنه مرتبة وله على ما يتمناه ؟

فقام اليه سويد بن غفلة فقال : أنا لها يا أمير المؤمنين .

فقال عبد الملك : هات .

فقال سويد : أنف ، بطن ، ترقوة ، ثغر ، جمجمة ، حلق ، خد ، دماغ ...

فقام بعض أصحاب عبد الملك وقال : يا أمير المؤمنين أنا أقولها فى جسد الانسان مرتين ...

فقال سويد : أنا أقولها ثلاثا وأنشأ : أنف ، أسنان ، أذن الخ . فأعطاه عبد الملك جائزة وأنعم عليه وبالف فى الاحسان اليه .

وقد حضر أعرابى مجلس عبد الملك بن مروان أيضا وكان جرير حاضرا فسأل عبد الملك الأعرابى : هل لك علم بالشعر ؟

قال العربى : سلنى عما بدا لك يا أمير المؤمنين .

قال عبد الملك : أى بيت قالته العرب أمدح ؟

قال العربى : قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا . . . وأندى العالمين بطون راح .

فرفع جرير رأسه وتناول :

ثم قال عبد الملك : فأى بيت قالته العرب أفخر ؟

قال العربى : قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم . . . حسبت الناس كلهم غضابا .

فتحرك جرير ثم قال عبد الملك . . . فأى بيت أهجى ؟

قال العربى : قول جرير :

ففض الطرف انك من نمر . . . فلا كعبا بلغت ولا كلابا .

فاستشرف جرير لذلك .

ثم قال عبد الملك : فأى بيت أغزل ؟

قال العربى : قول جرير :

ان العيون التى فى طرفها حور . . . قتلنا ثم لم يحين قتلانا .

فاهتز جرير وطرب ثم قال عبد الملك : فأى بيت أحسن تشبيها ؟

قال العربى : قول جرير :

سرى نحوهم ليل كأن نجومه . . . قناديل فيهن الذبال المشتعل .

فقال جرير : جائزتى للعربى يا أمير المؤمنين .

فقال له عبد الملك . . . وله مثلها من بيت المال ولك جائزتك

يا جرير ، لا ننتقص منها شيئا . وكانت جائزة جرير أربعة آلاف درهم

وتوابعها من الحملان والكسوة . فخرج العربى وفى يده اليمنى ثمانية

آلاف درهم وفى اليسرى رزمة ثياب .

هذا مثل من الأمثلة لمجالس الأدب فى العصر الأموى فلما قامت

الدولة العباسية ظهرت المنتديات الأدبية بمعناها التام فى العالم الإسلامى

وصارت تعقد فى أوقات محددة وشملت تلك المنتديات قصور الحلفاء

وقصور الأمراء والعظماء ثم تنوعت المنتديات فكان منها منتديات للآداب

ومنتديات للعلوم ومنتديات للفنون . ولكن مجالس العلم والأدب استمرت
أرفع المجالس قدرا وأعظمها منزلة .

وفي مجلس هرون الرشيد كانت تعقد مناظرات بين الشعراء
ومناقشات بين الفقهاء ، ومساجلات بين أهل الفنون والأدباء .

وكان عصر المأمون أزهى العصور في تاريخ النهضة العلمية والأدبية
والدينية في الامبراطورية الاسلامية فقد كان المأمون نفسه عالما من كبار
العلماء أديبا من أساطين الأدباء واختار أصحابه ورجال دولته من الأفاضل
في الشرق والغرب وكان بجانبه كبار الأساتذة والمفكرين والمستشارين
والمترجمين . ويقول سيد أمير على القاضي الهندي : ان معية المأمون كان
بها عدد كبير من العلماء والأدباء والشعراء والأطباء والفلاسفة الذين
استندعاهم المأمون من جهات كثيرة من العالم المتمدين وشملهم جميعا
بعنايته مع اختلاف ميولهم وجنسياتهم .

وكثيرا ما أخذ المأمون نفسه الدور الرئيسي في المناظرات التي في
مجلسه .

ففي عصر المأمون ارتقت العلوم الدينية واللسانية واستفادت هذه
المجالس كل الاستفادة من الترجمة والتقدم العلمي .

وكان السلطان محمود الغزنوي يحب العلم والعلماء ويكرمهم
ويجالسهم ويحسن اليهم وتعقد المناظرات الطويلة بين يديه .

فقصور الخلفاء والأمراء والقادة كانت تقوم مقام الجامعات في عصرنا
هذا . وكان الحكام يتنافسون في حماية الأدباء والعلماء والطلبة يعملون
على النهوض بالأدب والعلم والدين والحكمة .

وفي تلك الحلقات والمجتمعات كانت تقام البحوث والمناظرات . وكان
الباحثون والمتناظرون يعتمدون على المنطق وسلامة التفكير وقوة الجدل
والمناقشة فقد روى أنه اجتمع متكلمان فقال أحدهما : هل لك في
المناظرة ؟

فقال الآخر : على شرائط : ألا تفضب ، ولا تعجب ، ولا تشغب ،
ولا تحكم ، ولا تقبل على غيري وأنا أكلمك ، ولا تجعل الدعوى دليلا ، ولا
تجوز لنفسك تأويل آية على مذهبك الا جوزت لي تأويل مثلها على مذهبي ،
وعلى أن تؤثر التصادق ، وتنقاد للتعارف ، وعلى أن كلا منا يبني مناظرته
على أن الحق ضالته والرشد غايته .

ومن هذا ترى أنه كان لعلم البحث والمناظرة قواعد يجب أن تراعى
وكان فى تلك البحوث والمناظرات مجال كبير للثقافة وإبداء الآراء والأفكار .
فالحلقات والمنتديات الأدبية والعلمية كانت بمثابة قاعات واسعة
للمحاضرات والمناظرات والتدريس .

وفى القصور المصرية بدأت المنتديات الأدبية منذ ظهرت الدولة
الطولونية ، وكانت الدروس تلقى فى قصور الأمراء والوزراء وفى بيوت
العلماء .

وفى بلاط الأخشيدي كانت الأبحاث التاريخية تلقى كل مساء . وقد
تربى كافور الأخشيدي فى هذا البلاط وترقى حتى جعله الأخشيدي معلما
لولديه فلما تسلم كافور الأخشيدي الأمر قرب الشعراء منه . وأعطاهم
الجوائز . وفى كل ليلة كانت السير وأخبار الدولة الأموية والعباسية تقرأ
عنده . وصار كافور حاميا للعلماء والأدباء وامتاز قصره بوجود المتنبي
بين جماعته لينشد الكثير من شعره .

وكان الفاطميون يعقدون مجالس ومنتديات علمية من وقت لآخر
وقوام هذه المجالس أساتذة بيت الحكمة الذين كانوا ينقسمون الى جماعات
تبعاً لتخصصهم ومواد دراستهم . فكان يجتمع هنا أساتذة المنطق والجدل
وهناك الفقهاء والمحدثون وفى مكان ثالث علماء الرياضة ويشغل الأطباء
مكاناً رابعاً وهكذا . وكل واحد من هؤلاء يلبس رداء خاصاً يشبه الرداء
الجامعى الذى يلبسه الحاصلون على الدرجات العلمية والأدبية فى الوقت
الحاضر .

وكان بين سلاطين الأيوبيين ووزرائهم سادة نجباء وأفذاذ من العلماء
لهم قدم راسخة فى العلم والأدب من أمثال القاضى الفاضل الوزير الشهير
الذى كان يجتمع فى مجلسه عليه القوم .